

## منهج أبي العلاء المعريّ من قضية الانتحال

م.م. أحمد خضير رميض    معهد المعلمين المركزي المسائي في المقدادية

### المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :  
فطن قدماء العرب من علمائهم ونقادهم إلى ما أصاب الشعر من آفات الوضع ، وما لحقه من علل الكذب والاختلاف ، وقد اقتضت أمانتهم العلمية ان ينبهوا على كل ما ساورهم من شك ، أو داخلهم من شبه ، بل ربما أوغلوا في الشك ، وبالغوا في الاتهام رغبة في تخليص الشعر مما يمكن ان يلحقه من قتام ، ويتطايير نحوه من غبار ... هذا مع قرب عهدهم بالجاهلية ، وسهولة تثبتهم من المعمرين ، أو ممن روى من المعمرين عن أهل الجاهلية .  
إن جهود العلماء والرواة في بحث النحل ، كانت إشارات إلى أبيات لا تغني كثيراً ، وإن إضاءات الطريق لمن جاء بعدهم . ولعل ابن هشام صاحب السيرة ، وابن سلام من القلائل الذين وجهوا جزءاً كبيراً من عنايتهم لقضية النحل ، وفسحوا له مجالاً واسعاً في كتابيهما فنقلا البحث فيها من الإشارات المقتضبة إلى البحث والتوسع ، وإيجاد منهج يعتمد عليه الدارسون في بحث هذه القضية الشائكة .

ولم يكن المعريّ - وهو المهتمُّ بالرواية ، المطلع على طرقها وطرق رواتها - ليغفل أمر النحل في الشعر ، وأمر الرواة المستريدين ، فلذلك يحاول ان يصطنع منهجاً في معالجته لتلك القضية . وهذا البحث معني بدراسة منهج المعريّ في قضية الانتحال ،  
١. (( ما هذا مما صدر عني ، وانك منذ اليوم لمولع بالمنحولات )) .  
( المعري على لسان أعشى قيس ... رسالة الغفران : ٢١٢ ) .

٢. (( لقد كنا في الجاهلية نقول ونتخرص ، فما جاءك عنا مما ينكره المعقول ، فانه من الأكاذيب ، والزمن كله على سجية واحدة . فالذي شاهده معد بن عدنان ، كالذي شاهده نضاضة ولد آدم - والنضاضة آخر ولد الرجل ))  
( المعري على لسان تأبط شراً .... رسالة الغفران : ٣٥٩ )

### قضية الانتحال عند المعري

وقف أبو العلاء المعري يستجلي النصوص الأدبية تحليلاً وتقويماً ، ولكي يتناول النص الأدبي بروح علمي قويم ، راح يحقق نسبة النص قبل أن يبدأ بنقده ، فنظر في نسبته إلى قائله ، وفي متن عباراته ، لتمييز صحيحها من زائفها ، (( إذا كان ذلك ما يزال أولى

خطوات النقد وأساسه القويم ))<sup>(١)</sup> ، وأعتقد أن ذلك التحقيق مهم ، لأنه يجنب الناقد من خطأ الحكم على الشاعر بما لم يقله ، ويجنبه من خطأ فهم النص عند الجهل بقائله وعصره .  
 كان تحقيق النص عند أبي العلاء اتجاهها أصيلاً ، لا يقل في حيزه وأصالته عن اتجاهاته الأخرى ، حتى عند المعري موضع ثقة من معاصريه في توثيق نسبة النص ، فقد ذكروا أن أحد طلبه العلم في اليمن وقع إليه كتاب في اللغة سقط أوله ، واعجبه جمعه وترتيبه ، فلم يزل يلقي به الأدباء ، ولا يجد من يعرفه أو يعرف صاحبه ، حتى دُل على أبي العلاء ، فخرج إليه ، وما إن قرأ شيئاً منه حتى دله على اسمه وأسم مصنفه ، وأملى عليه ما سقط منه ، وقيل إن هذا الكتاب هو ( ديوان الأدب للفارابي اللغوي )<sup>(٢)</sup>  
 إن بواعث التحقيق والتمحيص عند أبي العلاء ربما تبلورت عن رؤية المعري لهذا التراث الأدبي والشعري في عصره ، وهذا لا يزال عرضة للوضع والانتحال والتصحيف ، مع الأخذ بالاعتبار ثقافة أبي العلاء الواسعة ، وذوقه المرهف . أضف إلى ذلك ما ابتلي به هو أيضاً في أدبه بالنحل والتصحيف كيداً وحسداً .

نظر المعري إلى نسبة النص كما نظر سابقوه إليه كابن سلام ، فقد كانت نظرتة مبنية على الشك فيها ، بسبب افتعالها بالوضع ، أو النحل ، أو للغلط والتوهم فيها . على الرغم من قدم الوضع والنحل والانتحال ، حتى لقد عرفها العصر الجاهلي ، وأشار إليها في بعض أشعاره وأثاره ، إلا إن القرنين الثالث والرابع الهجريين يعدان المجال الواسع لانتشار هذه الظاهرة ، إذ قويت فيها حركة جمع وتدوين اللغة والأدب ، فقد بلغ النظر في نسبة النص وسنده أقصى ما وصل إليه قبل أبي العلاء ، بفضل من أضطلع بذلك من العلماء والرواة ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وحماد الرواية ، ثم المفضل الضبي وخلف الأحمر ، من رجال الطبقة الأولى ، والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة ، وأبي عمرو الشيباني ، ثم ابن الأعرابي ، ومحمد بن حبيب ، وأبي حاتم ، وأبن سلام الجمحي ، من رجال الطبقة الثانية<sup>(٣)</sup> . إذ كان لهم في تحقيق صحة النسبة ما بقي أكثره أساساً صالحاً لمن بعدهم إلى اليوم ، فيما يؤخذ ويترك من الروايات كان لأبن سلام خاصة في هذا التحقيق ما لم يكن لأحد منهم ، وإن استقاد من بعضهم ، حيث بين في مقدمة كتابه ( طبقات فحول الشعراء ) أهميته ، وضرورته حين ( أختلف الرواة فقالوا بأرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها )<sup>(٤)</sup> كما بين ملامح الشعر الموضوع من ضحالة المعنى ، وضعف الإسناد

١- احمد أمين ، النقد الأدبي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣م ، ص ١١٩

٢- زغلول ، محمد سلام ، تاريخ النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ ، ص ١٨ .

٣- الأسد ، د. ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف بمصر ن ط٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦م ، ص ٢٥٢ .

٤- أبن سلام ، محمد الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني السفر الأول القاهرة سنة ١٩٧٤م ص ٢٤ .

(<sup>١</sup>) . وإن الأساس في نقده ، الذوق المثقف الخبير وإجماع العلماء من الرواة(<sup>٢</sup>) ثم أكثر من التطبيق على هذا الأساس فيما بعد المقدمة من فصول كتابه . ويضيف د. ناصر الدين الأسد مقياساً آخر في تحقيق النص معتمداً عند معاصري المعري ، وهو وجود الشعر في ديوان الشاعر، أو ديوان القبيلة الذي دونه الثقات من العلماء والرواة(<sup>٣</sup>) .

وبعد ابن سلام لا نجد من نظر في نسبة النص إلا تطبيقات تقلّ وتكثر تبعاً لمدى هذا النظر عند كل منهم(<sup>٤</sup>) . فإذا تأملنا ما وجدنا منه لأبي العلاء ألفينا له من روعة العرض وسعة التناول ، ما لم يجتمع قط فيما نجد لسابقه . فروعة العرض واضحة في (رسالة الغفران) ؛ تلك الرسالة التي استأثرت من هذا الجانب بأكثره ، وكان لأسلوبها - من الحوار والسخرية - ما بلغ الغاية من إثارة الحسّ ، وتقليل النفس لما تضمنته ، وسعة التناول ليست فقط ما تعرض له من أشعار مشكوك في نسبتها ، وهي كثيرة ، بل أيضاً بما أتجه إليه إنكار السند وإثبات السند ، وإنكار السند لشاعر وإثباته لشاعر آخر . إذ كانت هذه الاتجاهات في الواقع جماع ما يمكن من وجوه النظر فيها ، لو لا ما شابها أحياناً من تداخل واختلاط تعذر معهما العرض المستقل لبعضها .

#### أولاً إنكار السند

تأتي صورة هذا الإنكار في نوعين :

أ. عدم ذكر السبب .

وضع المعري ( شعر الجنّ ) في باب الشعر الذي أنكره دون ان يعلق على ذلك الإنكار . يقول المعري للنكتي في سياق الحديث عن مصدر شعره : (( أما الجنّ فقد ورد عنها ما يعلمُ منه ، ان كثيراً من أصحاب الحديث رويوا أنّ الجنّ ناحت على عمر بن الخطاب (رض) ، فقالت :

قضيت أموراً ثمّ خلقت بعدها بوائج في أكمامها كم تفتق

فزعوا ان هذه الأبيات سمعت قبل مقتل عمر ، وهي في ( الحماسة ) منسوبة إلى الشماخ ، وقد ذكر رواية أصحاب الحديث ابن قتيبة في كتابه الموضوع لغريب حديث النبي (ص) ، والصحابة ، وروي أصحاب السير أنّ سعد بن عبادة مال إلى سباطة قوم فبال ، ثم مال ميتاً وإنّ الجنّ قالت :

سعد بن عبادة

قتلنا سيد الخزرج

نخطئ فؤاده

رميناه بسهمين فلم

٥- المصدر نفسه : السفر الأول : ص ٤ .

١- المصدر نفسه : السفر الأول : ص ٦-٧ .

٢- الأسد د. ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٦٨ .

٣- المصدر نفسه ص ٤٧٥ .

وفي أشباه لهذا لا تحصى<sup>(١)</sup> .

يخاطب المعري(الحيتمور) في الغفران على لسان ابن القارح قائلاً: (( أخبرني عن أشعار الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ الجني : إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه ، وهل يعرف البشر من التنظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض؟! وإنما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون ، قلما يعدوها القائلون وإن لنا لآلاف ما سمع بها الإنس ))<sup>(٢)</sup> .

فالمعري يسخر من نسبة هذه الأبيات إلى الجن ، لا لأن هؤلاء عاجزون من نظم مثلها ، بل لأنها ارفع من ان تنسب إليهم هذه السخافات البشرية . وقد رأى د. أمجد الطرابلسي أنّ هذا (( أسلوب هزلي يصلح لرد مثل هذه الترهات ))<sup>(٣)</sup> فمع اقتصار المعري في النص الأول من الأبيات المنسوبة لعمر بن الخطاب (رض) على الأخبار دون الإقرار ، فإنّ أبا المعري يصرح في النص الثاني أنّ الذي جمعه المرزباني هذيان لا معتمد عليه ، ويمكن حمل هذا الرأي على التعريض الخفي برواة هذا الشعر من أصحاب الحديث والسير من الرواة ، وممن أخذ عنهم ، وسخرية صريحة من الشعر نفسه ، تجعله وشعر البشر هذياناً .

ومما ترك تحليله - رأيه في الأبيات المنحولة للأعشى :

أمن قتلة بالأثفا  
كأن لم تشهد الحيّ  
ء، ودارُ غير محلولة  
بها بيضاء عطبولة

وفي ذكر هذه القصيدة ، قصة حاكها خيال المعري ، إذ يلتبس ابن القارح من الأعشى في الجنة ان ينشده هذه القصيدة فيجيبه الأعشى : (( ما هذا مما صدر عني ، وإنك منذ اليوم لمولع بالمنحولات ))<sup>(٤)</sup> .

ويلتقت المعري إلى الشعر الذي يأتي به في شواهد علوم العربية كالنحو واللغة ، فيثبت ان بعضه مصنوع ، وتلك الأبيات لم ترد عن شاعر معين ، وإنما نظمها العلماء أنفسهم ليبينوا قاعدةً ، أو ينفوا أخرى . فقال في :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا  
أم عبد ربّ أخا عون بن مخراق

(( هذا البيت يتداوله النحويون ، وزعم بعضهم المتأخرين من أهل العلم أنه مصنوع ، وما أجدره بذلك ))<sup>(١)</sup>

٤- رسائل أبي العلاء ، حققها وترجمها إلى الإنكليزية المستشرق مارجليوت ، المطبعة المدرسية في

أكسفورد عام ١٨٩٨م ، أعادت طبعتها بالأوفست مكتبة المثني بغداد ، ص ٦٦ .

١- أبو العلاء ، رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ط ٥ ، القاهرة سنة ١٩٦٩م ، ص ٢٩١ .

٢- الطرابلسي ، د. أمجد ، النقد واللغة في رسالة الغفران ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق سنة ١٩٥١م ، ص ٥٢ .

٣- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، ص ٢١٢ .

ب - لوجود السبب •

جاء نفي المعري في غير تلك المواضع التي ذكرتها آنفاً ، مقروناً بالعلل بل ان تلك الأسباب متنوعة عميقة ، تدل على الحس المرهف الذي يتميز به المعري ، لأنه لم يعتمد فيه على ما حول انص ، أو على نقده من الخارج فقط . بل اعتمد على النظر في النص نفسه ، أو على نقده من الداخل ، وكان له من هذا وذاك ما بنى عليه نفيه وإنكاره وهذه الأسباب هي :-

١ . اختلاف لغة السند مع لغة الشاعر .

كانت مخالفة لغة السند مع لغة الشاعر هي التي دفعته إلى إقامة الحوار بين آدم عليه السلام ، وأبن القارح في الجنة ، إذ يقول له ابن القارح : (( يا أبانا - صلى الله عليك - فقد روي لنا عنك شعراً ، منه قولك :

نحن بنو الأرض وسكانها      منها خلقنا وإليها نعودُ  
والسعد لا يبقى لأصحابه      والنحس تمحوه ليالي السعدُ

فيقول : إن هذا القول حق ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة . فيقول - وفر الله قسمه في الثواب - : فلعلك يا أبانا قلت ثم نسيت ، فقد علمت ان النسيان متسرع إليك وحسبك شهيداً على ذلك الآية المتلوه في فرقان محمد ( ٢ ) : ( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنس ، ولم نجد له عزماً )<sup>(١)</sup> . فيقول آدم ( صلوات الله عليه ) - : أبيت إلا عقوقاً وأديّة ، إنما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة ، فلما هبطت إلى الأرض نقل لساني إلى السريانية ، فلم أنطق بغيرها إلى ان هلكت ، فلما ردني الله - سبحانه وتعالى - إلى الجنة عادت عليّ العربية ، فأني حين نطقت هذا الشعر ، في العاجلة أم الأجلة ؟ والذي قال ذلك يجب ان يكون وهو في الدار الماكرة ، ألا ترى قوله :

( منها خلقنا وإليها نعودُ )

فكيف أقول هذا المقال ولساني سرياني ؟ وأما الجنة قبل ان أخرج منها ، فلم أكن ادري بالموت فيها ، وأنه مما حكم على العباد .... وأما بعد رجوعي إليها فلا معنى لقولي : وإليها نعود ، لأنه كذب لا محالة ونحن معاشر أهل الجنة خالدون مخلدون . فيقول - قضي له بالسعد المؤرّب •

إن بعض أهل السير يزعم ان هذا الشعر وجده يعرب في متقدم الصحف بالسريانية ، فنقله إلى لسانه ، وهذا لا يمتنع ان يكون .... وكذلك يروون لك - صلى الله عليك - لما قتل قابيل هابيل .

٤- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ص ٥٦٨ ، وكان سيبويه قد شك في رواية هذا البيت الشعري ، ( الجاحظ ، كتاب الحيوان ٣١/١ ) •  
١- سورة طه : آية ١١٥ •

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح  
 ..... فيقول آدم - صلى الله عليه - أعزز علي بكم معشر أبيني ! وإنكم في الضلالة  
 مهوكون . آليت ما نطقت هذا النظيم ، ولا نطق في عصري ، وإنما نظمته بعض  
 الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم  
 ..... ) (١) إن أبا العلاء في النص السابق لم يكتف بالسخرية والابتسام مما نسب إلى  
 آدم عليه السلام كما فهم د. أمجد الطرابلسي (٢) . بل احتج لنفيه عنه بحجة أخرى  
 ضمنها هذا الحوار . وكانت في موازنته بين لغة آدم في الجنة وخارجها - ولغة ما  
 نسب إليه تلك الموازنة التي صدر فيها عن فهم وذوق ومعرفة ، وخلص منها ومن  
 دلالات ذكرها إلى امتناع أن يكون لآدم مما تُسب إليه شيء ، إنما هو من مضمونه في  
 الأول لبعض الحكماء ، ومن ركاكته في الثاني لبعض الفارغين .  
 ٢. اختلاف أسلوب السند مع أسلوب الشاعر

عدّ المعري بعض ما نسب إلى امرئ القيس مخالفاً لما عُرف عن أسلوب الشاعر ، ففي  
 المحاوراة التي أقامها بين أبي القارح وأمرئ القيس ، قال : (( أخبرني عن التسميط  
 المنسوب إليك ، اصحيح هو عنك ، ونشيدته الذي يرويه بعض الناس :  
 يا صاحبتنا عرّجوا      تقف بكم أسبح  
 مهريّة دلج      في سيرها محج  
 طالبت به الرّحلُ

فيقول ؛ لا والله ما سمعت هذا قط ، وأنه لقرى ألم أسلكه ، وإنّ الكذب لكثير ، وأحسب  
 هذا لبعض شعراء الإسلام ، ولقد ظلمني وأساء إليّ ، أبعد كلمتي التي أولها :  
 ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي      وهل ينعمن من كان في العُصر الخالي  
 وقولي: خليلي مُرا بي على آدم جندبٍ      لنقصي حاجات الفؤاد المعذب  
 يقال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهذا الوزن من أضعف الرجز ..... ،  
 فيقول : وإنا لنروي لك بيتاً ما هو في كل الروايات ، وأظنه مصنوعاً ، لأنّ فيه ما لم  
 تجر عادتك بمثله ، وهو قولك :

وعمر بن درّ ماء الهُمام إذا غدا      بصارمه يمشي كمشيّة قسورا  
 فيقول ؛ أبعد الله الآخر ، لقد اخترص فما أترص ، وإنّ نسبة مثل هذا إليّ لأعدها  
 إحدى الوصمات ..... ، وإنما أنكر حذف الهاء من ( قسوره ) ، لأنه ليس بموضع  
 الحذف وقل ما يصاب من أشعار العرب مثل ذلك ..... ) (٣) .

٢- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

٣- الطرابلسي ، د. أمجد ، النقد واللغة في رسالة الغفران ص ٥٠ .

١- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ص ٣١٨ ، ص ٢٢ .

فقد قاس الوزن في التسميط ، والتعرّف اللغوي في البيت على ما عُرف لأمرىء القيس ، فنزّهه عنهما . لأنهما ليسا من أسلوبه ، ولئن دلّ على شيء فهو على إحاطته بديوان الشاعر وأوزانه ولغته الخاصة ، مما لا بدّ منه للناقد الحصيف .  
وعلى نفس المنهج السابق ، فقد نفى المعري ( الشيبّية ) المنسوبة إلى النابغة الجعدي ، وكان نفيه مبنيّ على أنّ هذه القصيدة على رويّ لم ينظم النابغة الجعدي عليه قطّ ، وهو ( الشين ) ولأن فيها ألفاظاً لم يعرفها ، وليست من لغته ، (( يقول الشيخ - كتب الله له مثوبة المتقين - لنابغة بني جعدة : يا أبا ليلى ، أنشدنا كلمتك التي على الشين ، التي تقول فيها :

ولقد أعزو بشرب أنفٍ      قبل أن يظهر في الأرض ريشُ  
معنارِقُ إلى ( سُمهيةِ )      تسقُ الأكال من رطب وهشُ

فيقول نابغة بني جعدة : ما جعلت الشين قط رويّاً ، وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط : ريش ، سمهية ، وخشش<sup>(١)</sup> .....

٣. اختلاف عقيدة السند مع عقيدة الشاعر .

أنكر المعري بعض الأسانيد لاختلافها مع عقيدة الشاعر ، فيما عُرف عنه . فقد روى عن ( العلوي البصري )<sup>(٢)</sup> ، يقول أبو العلاء : (( وقد رويت له أبيات تدلّ على تأله ، وما أدفع أن تكون قيلت على لسانه ، لأن من خير هذا العالم حكم عليه بفجور ومين ، واخلاق تبعُد من الزين . والأبيات :

قتلت الناس إشفاقاً      على نفسي كي تبقى  
وحزت المال بالسيف      لكي أنعم لا أشقى  
فمن أبصر مثواي      فلا يظلم إذا خُلقا  
فوا ويلى إذ مامـ      ت عند الله ما ألقى  
أخلدأ في جوار الله      أم في ناره ألقى

وأنشدني بعضهم أبياتاً ( قافية ) طويلة الوزن ، وقافيتها مثل هذه القافية ، وقد نسبت إلى عضد الدولة ..... وقد نحا بها نحو أبيات البصري ، وأشهد أنها متكلفة صنعها رقيب من قوم ، وأنّ عضد الدولة ما سمع بها قطّ ))<sup>(٣)</sup> .

٢- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٠٩ .

2- العلوي البصري : هو صاحب الزنج ، ظهر أمره سنة ٢٥٤ هـ إذ سار إلى البصرة وجمع الزنج وأنتسب إلى العلويين ، واستقل أمره وهزم جيوش الدولة ، وبقيت الحرب بين الدولة والزنج أكثر من عشر سنوات ، حتى قتل سنة ٢٧٠ هـ . ( أبو العلاء المعري رسالة الغفران ص ٤٤٨ ) .

3- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٤٤٩ .

فالظاهر من هذا السياق أن حكمه على أبيات كل من العلوي ، وعضد الدولة بالوضع والنحل ، ليس إلا لتكلفتها مدلولاً لا يتوقع من أحدهما بعد الذي كان من كل منهما .

٤ . اختلاف السند مع حقيقة التاريخ .

إنّ هذا الاختلاف عند المعري هو أساس النفي في قوله (( وقد وجدت في بعض كتب الأغاني ، صوتاً يقال عنّه الجرادتان ، فتفكنتُ لذلك ، والصوت :

أقفر من أهله المصيف      منبطنُ عردة ، فالغريقُ  
هل تبلغني ديار قومي      مهريّة ، سيرها تلقيفُ  
يا أمّ عثمان نوليني      هل يئنج النائل الطفيفُ

وهذا شعرٌ على قرى :

\*أقفر من أهله ملحوبُ \*

ومن الذي نقل إلى المغنّين في عصر (( هارون )) وبعده ، أنّ هذا شعر غنته (( الجرادتان )) ؟ إنّ ذلك لبعيدٌ في المعقول ، وما أجدره ان يكون مكذوباً<sup>(١)</sup> . لكن قوله بعد هذا مباشرة : (( إنّ العرب صارت تسمي كل قينة جرادة ، حملاً على أنّ القينة في الدهر الأول كانت تسمى الجرادة<sup>(٢)</sup> ) يضعف من شكه هنا لأنه يعني أنّ أسم الجرادتين قد صار من الخصوص إلى العموم ، وما دام الصوت – كما وجد – غير مخصوص بمن غنتا لوفد عاد ، لم يبعد ان يكون لجرادتين بعدهما ، ممن لم ينقطع تاريخهما فإذا ذكرنا – مع هذا – من أقوالهم عن الجرادتين ، قول ابن الكلبي : (( كانت لأبن جدعان أمتان ، تسميان الجرادتين ، تتغنيان في الجاهلية ، سماها بجرادتي عاد ..... ))<sup>(٣)</sup> ، أو قول ابن منظور : (( الجرادتان مغنيتان للنعمان ))<sup>(٤)</sup> . صحّ أن نثبت نسبة الصوت – أما إلى الأولين ، وأما إلى الآخرين – وإن كان على القرى المشار إليها .

ثانياً : إثبات السند

المقصود بـ ( إثبات السند ) ، هو اعتماد المعريّ ما اعتوره الشك من النصوص ، لما تحقّقه من صدقها ، وتبينه من صحتها ، وقد كانت آية صدقها وصحتها عند أبي العلاء :

أ . تشابه لغة السند مع لغة الشاعر .

1- أبو العلاء المعري رسالة الغفران : ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

2- المصدر نفسه : ص ٢٤٤ .

3- أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر : ٣٢٧/٨ .

4- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت سنة ١٩٦٨م : مادة (( جرد )) .

نظر أبو العلاء في تلك الحجة في كثير من نفيه وإثباته ، وصدر فيها عن درايته  
الفذة باللغة ، من حيث ألفاظها ودلالاتها وتعامل الشعراء معها ، فأبيات الشاعر تأبط  
شراً :

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما ظلَّ فيه سماكيَّ ولا جادا  
في حيثُ لا يعمُّ الغادي عمائتُهُ ولا الظليم بها يبغى تهبادا  
على الرغم من شك المعري فيما تضمنته من نكاح الغيلان ، لم يشك في نسبتها إليه  
، فيقول مخاطباً الشاعر على لسان ابن القارح : (( فاستدللت على أنها لك لما قلت  
: تهبادا ، مصدر تهبد الظليم ، إذا أكل الهبيد ))<sup>(١)</sup> ، والهبيد : حب الحنظل . إذ  
كان هذا المصدر – كما يلاحظ – من خواص الشاعر اللغوية ، التي تردت في  
شعره ، وأكثر منها كقوله في القافية :

طيفُ ابنة الحرِّ إذ كنا نواصلها ثم أجتنتُ بها بعد التفراق  
مصدر تفرقوا ، تفرقاً ، وهذا مطرّدٌ في تفعل ، وإن كان قليلاً في الشعر ، كما قال  
أبو زبيد :

فثار الزّاجرون فزاد منهم تقرباً ، وصادفه ضيبن  
فلا يجيبه ( تأبط شراً ) بطائل<sup>(٢)</sup> . ويثبت أبو العلاء بيت المهلهل :  
ارعدوا ساعة الهياج وأبرقنا كما توعد الفحول الفحول  
الذي كان ينكره الأصمعي ، ويقول انه مولد ، ففي المحاوراة التي أقامها مع  
المهلهل ، يقول المعري : (( زعم الأصمعي أنه لا يقال : أرعد وأبرق ، في الوعيد  
، ولا في السحاب ، فيقول : إن ذلك لخطأ من القول ، وإن هذا القول لم يقله إلا  
رجل من جذم الفصاحة ، أما أنا وأما سواي ، فخذ به وأعرض عن قول السفهاء<sup>(٣)</sup> )  
. فالعرب على زعم المعري لم تكن تقول ( أرعد ) و ( أبرق ) في الوعيد ، ولا  
في السحاب ، بل كانت تقول ( رعد ) و ( برق )<sup>(٤)</sup> .  
ب . قصور الرواة عن نقل الرواية كاملة :

لقد أعتمد المعري هذا الدليل كي يقبل بموجبه بعض الأبيات التي لم تذكر في ديوان  
الشاعر ، ومن ذلك أبيات للمرقش الأكبر ، في المحاوراة التي أقامها معه ، قائلاً : ((  
وبعض الناس يروي هذا الشعر لك :

تخيرتُ من نعمان عود اراكةٍ لهند ، ولكن من يبلغه هندا ؟  
خليلي جوراً بارك الله فيكما وإن لم تكن هنداً لأرضكما قصدا

- 1- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٥٩ .
- 2- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٣٦٠ .
- 3- المصدر نفسه : ص ٣٦٥ .
- 4- الطرابلسي ، د . أمجد ، النقد واللغة في رسالة الغفران : ص ٦٤ .

وقولا لها : ليس الضلال أجارنا ولكننا جُرنا لنلناكم عمدا  
ولم أجدها في ( ديوانك ) فهل ما حكى صحيح عنك ؟  
فيقول ؛ لقد قلت أشياء كثيرة ، منها سأُنقل إليكم ، ومنها لم يُنقل . وقد يجوز أن أكون  
قلت هذه الأبيات ، ولكني سرفتها لطول الأبد ، ولعلك تتكر أنها في ( هند ) ، وأن  
صاحبتي ( أسماء ) ، فلا تنفر من ذلك فقد ينتقل المشبب من الاسم إلى الاسم ، ويكون  
في بعض عمره مستهتراً بشخص من الناس ثم ينصرف إلى شخص آخر . ألا تسمع إلى  
قولي : ؟

سره تذكره ( خويلة ) بعدما حالت ذرا نجران دون لقائها<sup>(١)</sup>  
يخلو ديوان المرقش من تلك الأبيات فضلاً عن التشبيب فيها بغير صاحبتة ، مما يدفع  
إلى الشك فيها ، ولم يمنع أبا العلاء من توثيقها بحجة أن الرواية لم تنقل كل ما قيل ، وإن  
الشعراء لم يتفقدوا في التشبيب بواحدة لكن تلك الحجة على صحتها تعارض توقعه الآتي  
عن إثبات الشعر في ديوان المرقش ، كما تعارض ما اعتمده السابقون من مقاييس  
الإثبات من إجماع الرواة ، أو وجود الشعر في ديوان الشاعر ، أو ديوان القبيلة .  
وكلاهما مفقود هنا .

ويظهر لنا النص السابق أيضاً اعتماد المعري على الديوان في العصر الذي زالت  
فيه الرواية عن الأعراب وحل محلها الاعتماد على المصنفات المدونة ، والذي عبر عنه  
( ابن جنّي ) بقوله : (( إنا لا نكاد نرى بدويّاً فصيحاً وإن نحن آتسنا منه فصاحة في  
كلامه ، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه ، وينال ويغض منه ))<sup>(٢)</sup> والديوان حكم  
موضوعي للفصل ، ويدل على منهج عامي صائب في محاولة تتبع نسبة الشعر والشك  
فيه ، وكان المعري قد اعتمد هذا المنهج في بعض كتبه<sup>(٣)</sup> . على أن أبا العلاء لم يخالف  
السابقين في ذلك فقط ، بل خالفهم ، أو خالف بعضهم أيضاً في الإثبات بلا دليل ، لاشعار  
نفوا نسبتها بالدليل ، كذلك التي تنسب إلى الجاهليين في قصة الرجم ، من نحو قول الأوفى  
الأودي :

كشهاب القذف يرميكم به      فارس في كفه للحرب نار  
وقول أوس بن حجر يصف ثوراً وحشياً :  
فانصاع كالدرى يتبعه      نقح يثور تخاله طنبا

1- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٥٦ .  
2- ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ،  
بيروت : ٥/٢ .  
3- ينظر أبو العلاء المعري ، الفصول والغايات ، تحقيق محمد حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٧م : ص ٢٢١ - ٤٦٩ وفيها حديث عن اعتماد الديوان .

وكان الجاحظ قد نفى هذين البيتين عن الشاعرين : (( وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودي ، فلعمري انه لجاهليٌّ ، وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة ، وبعد فمن أين علم الأفوه أنّ هذا الشهب التي يراها ، إنما هي قذف ورجم ، وهو جاهلي ، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون ؟ ! فهذا دليل على أن القصيدة مصنوعة ))<sup>(١)</sup> . وقد أثبتتها المعريّ (( منكرأ بها قول من قال ان الرجم حدث في الإسلام ، وأنه زاد في أو ان المبعث ، وإنّ التخرص لكثير في الإنس والجن ، وإنّ الصدق قليل ، وهنيئاً في العاقبة للصادقين ))<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : إنكار السند لشاعر وإثباته لشاعر آخر  
تأتي صورة هذا الإنكار والإثبات على نمطين :

أ - تصحيح نسبة النص .

يعدل المعري نسبة النص عن وجهها ، بسبب ما يعتقده من الخطأ الذي نشأ عن تلك النسبة . فقد نفى نسبة قصيدة للنابغة ، وجعلها لرجل من بني ثعلبة ابن سعد ، فقال في المحاورة التي أقامها بين النابغة وابن القارح ، فقال له ابن القارح : (( يا أبا أمامة ، أنشدنا كلمتك التي أولها :

أما على الممطورة المتأكدة أقامت بها في المربع المتجرده  
مضمخةً بالمسك مخضوبة الشوى بدر ، وياقوت لها منقلده  
كان ثناياها - وما ذقت طعمها - مجاجة نحل في كميت مبرده  
ليقرر بها النعمان عيناً فإنها له نغمة ، في كل يوم مجده

فيقول (( أبو أمامة ) : ما أذكرُ إني سلكت هذا القرى قط . فيقول مولاي الشيخ زين الله أيامه ببقائه : إن ذلك لعجب ، فمن الذي تطوع فنسبتها إليك ؟ فيقول : إنها لم تنسب إليّ على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط والتوهم ، ولعلها لرجل من بني ثعلبة بن سعد ))<sup>(٣)</sup> فالقصيدة إذن يثبتها المعري من جهة أنها جاهلية ، ولكنه ليست إلى النابغة على معنى الغلط والتوهم ، لا الكذب والوضع . ويظهر النص السابق منهج المعريّ الذي يعتمد على النظرة الشمولية لشعر الشاعر ، والقدرة على تمييز أسلوبه عن أساليب الآخرين ، وهو منهج علمي يفيد النقد<sup>(٤)</sup> .

وقد نفى المعري نسبة بيت لعبيد بن الأبرص فقال : والمثل السائر :

1- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون ، دار الكتاب العربي ط ٣ ، بيروت سنة ١٩٦٩ : ٢٨٠/٦ .

2- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٩٨ .

3- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٠٧ .

4- أبو العلاء المعري ، أبو العلاء المعري ناقد ، وليد محمود خاص ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد : عام ١٩٨٢ م : ص ٧٤ .

هي الخمرُ تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة

وهذا البيت يروى ناقصاً كما علم ، وهو ينسب إلى عبيد بن الأبرص وربما وجد في النسخة من ( ديوانه ) وليس في كل النسخ والذي اذهب إليه أن هذا البيت قيل في الإسلام بعد ما حرمت الخمر ((<sup>(١)</sup>) وهذا النص يدل على دقة المعري في تعقب نسبة الشعر ، ويبدو أنه كان يطلع على نسخ متعددة من الديوان الواحد ، ليتأكد من البيت ، وقد يثار سؤال حول هذا الأمر ، وهو : هل يريد المعري من هذا التعقب أن ينفى نسبة هذه البيات إلى عبيد ؟ يرى وليد خالص أنه أراد ذلك بملاحقته المتتابعة.<sup>(٢)</sup> كما يضاف إلى هذا ما وضع في رواية شعر عبيد من الاضطراب وكثرة الانتحال عليه ، كما وضح ذلك ابن سلام<sup>(٣)</sup>. الأمر الذي جعل المعري يشك في نسبة هذه الأبيات وغيرها .

نظر المعري في تحقيق نسبة النص إلى الشاعر ، ونظر أيضاً في نسبة النص إلى الممدوح ، ففي تعليقه على قول المتنبي :

أذم إلى هذا الزمان أهيلة

(( إنما قال في ( علي بن محمد بن سيّار بن مكرم ) بإنطاكية ، قبل أن يمدح سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان ، والشعراء مطلقاً لهم ذلك ، لأن الآية شهدت عليهم بالخرص ، وقول الأباطيل : ..... ))<sup>(٤)</sup> . فالمعري على لسان ابن القارح يتعقب قول المتنبي في ذمة الزمان ، وقد صار إلى ما صار إليه عند سيف الدولة ، فبين له أن هذا البيت لم يقله المتنبي في سيف الدولة ، فنسبته إلى فترة أخرى قبل تلك الفترة التي اتصل بسيف الدولة .

ب - ترجيح نسبة النص

يعتمد المعري هذا الأساس لترجيح أحد الوجهين فيما ترددت نسبته بينهما ، ومن ذلك ما رجحه في نسبة بيتين إلى عمرو بن كلثوم . فقد جعل المعري ( أم ) عمرو المذكورة في البيتين التاليين :

تصدّ الكأس عتاً أم عمرو      وكان الكأس مجراها اليمين  
وما شرّ الثلاثة أم عمرو      بصاحبك الذي لا تصبحينا

جعل ( أم عمرو ) قينة من قيان الجنة ، فلما سألتها السامعون عن هذين البيتين : أعمرو بن عدي هما ، أم لعمرو بن كلثوم ؟ أجابت : (( أنا شهدت ندماي جذيمة ؛ مالكا وعقيلاً ، وصبحتهما الخمر المشعشة لما وجدا ( عمرو بن عدي ) فكنت أصرف الكأس عنه ،

1- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٥١٣ .

2- أبو العلاء المعري ، أبو العلاء المعري ناقداً : ص ٦٦ .

3- ابن سلام / محمد الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة سنة ١٩٧٤م ، ١/ ١٣٨ .

4- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٤١٦ .

فقال هذين البيتين ، فعمل ( عمرو ابن كلثوم ) حسنٌ بها كلامه ، واسترداهما في أبياته ((<sup>(١)</sup>

وعلق الدكتور أمجد الطرابلسي عن هذه النسبة قائلاً : (( ولسنا ندري حقيقة ما الذي جعل المعري يرجح نسبة هذين البيتين إلى عمرو بن عدي ، كما روت ذلك الأسطورة المشهورة ، ويستبعد أن يكون عمرو بن كلثوم قد قالها أصالة ))<sup>(٢)</sup> . على ان الدكتورة عائشة بنت الشاطي قد أشارت في هامش الغفران ، أن التبريزي قد روى البيتين في معلقة عمرو بن كلثوم حين شرح المعلقات ، ثم عقب بأن بعضهم قد رواها لعمرو بن عدي ، وكذلك فعل المرزباني في معجمه الذي رواهما أصلاً لعمرو بن عدي<sup>(٣)</sup> . فالقضية مختلف في نسبتها إلى المعري أيضاً ، ولكن أبا العلاء حسم هذا الاختلاف . نظر المعري أيضاً إلى قول طرفة بن العبد :

وأصفر مضيوح نظرت حويره على النار واستودعته كفاً مجمد  
وخاطب الشاعر بقوله : (( وهذا البيت يتنازع فيه ، فينسبه إليك قومٌ ، وينسبه آخرون إلى ( عدي بن زيد ) ، وهو بكلامك أشبه ))<sup>(٤)</sup> .

#### الخاتمة ونتائج البحث

لقد تضمن البحث أموراً مهمة في قضية الانتحال عند أبي العلاء المعري وتوقف الباحث عند أمور يمكن إجمالها كالآتي :-

١. لما كانت غاية هذا البحث أن يحقق الصحيح من أمر الانتحال أو بعبارة أخرى : ان يجيب عن السؤال الذي يتردد ؛ كيف نظر المعري إلى الانتحال ؟ فقد استوحى أبو العلاء جهود من سبقه في هذا الباب ، وتمثل جهود بعض العلماء كابن سلام ليخلص إلى منهجية تظهر الطريقة التي حاكم فيها المعري النصوص الأدبية وتمثلت في : إنكار السند ، مكتفياً مرة بهذا الإنكار ، ومعلقاً وذاكراً العلة في سبب الإنكار ، كاختلاف لغة السند مع لغة الشاعر ، واختلاف أسلوب السند مع أسلوب الشاعر واختلاف عقيدة السند مع ما عرف من عقيدة الشاعر ، واختلاف السند مع حقائق التاريخ ، ثم نظر في إثبات السند ذاكراً أسباب هذا الإثبات ، فكانت بين تشابه لغة السند مع لغة الشاعر ، وقصور الرواة عن نقل الرواية كاملة ، وإمعاناً في أن يصبح منهجه متكامل ، نظر في إنكار السند لشاعر نسب إليه النص ، وإثباته لشاعر آخر وجاء من جانبيين تأرجحاً بين التصحيح والترجيح للنص الشعري .

1- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٢٧٨ .

2- الطرابلسي ، د. أمجد ، النقد واللغة في رسالة الغفران : ص ٥٨ .

3- ينظر : أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : هامش (١) : ص ٢٧٨ .

4- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران : ص ٣٣٥ .

٢. نظر المعري إلى ما يسميه د. أمجد الطرابلسي ( الشعر الأسطوري ) المتمثل فيما نسب إلى الجن ، أو إلى آدم ، وكانت نظرتة مبنية على رفض هذه الأشعار دون التعليل فيما نسب إلى الجن ، والاكتفاء بالسخرية ، وإلى ما نسب إلى آدم عليه السلام من أن لغته لم تكن اللغة التي ورد النص عليها .
٣. اعتمد المعري في منهجه قياس أسلوب الشعراء في إنكار السند المنسوب إليهم ، وجاءت نظرتة إلى الأسلوب من بابين : باب التصرف اللغوي الذي تمثل بها شعر الشاعر ، وباب الأوزان المحدثّة في شعر الشعراء الجاهليين ، وربما يدل هذا التوجه على إحاطة المعري بديوان الشاعر وأوزانه ولغته الخاصة مما يحتاجه الناقد الحصيف .
٤. إنّ أبا العلاء في نظرتة للإنكار والإثبات يعتمد على ديوان الشاعر في العصر الذي زالت فيه الرواية عن الإعراب وحلّ محلّها الاعتماد على المصنّفات المدوّنة . وهو لذلك يكثر من قول : وهذا غير موجود في ديوانك يعني الشاعر الذي يتحاور معه على لسان ابن القارح ، بالإضافة إلى ذلك نراه يعتمد على نسخ متعدّدة من الديوان الواحد ليتأكد من بيت نسب إلى الشاعر ، كما علق على شعر عبيد بن الأبرص في قوله : وربما وجد في النسخة من ديوانه وليس في كل النسخ .
٥. يظهر المعري قدرته العالية على الاطلاع والإحاطة بما كتب عن الشاعر في من أرخ له وتحديث عنه العلماء قبل عصر المعري بل يزيد في تعليقه على بعض أبيات الشاعر الواحد .
- وبعد ..... فلعلي بما اتبعت من منهج وكشفت عنه من نتائج لم أخطئ الصواب ، فإن كان كذلك فهذا ما أريده ، بتوفيق من الله العليّ القدير ، وإن لم يكن - فلا حول ولا قوة إلا بالله -

والحمد لله رب العالمين

## مصادر البحث ومراجعته

### القرآن الكريم

١. أحمد، أمين، النقد الأدبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢. الأسد، د. ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف بمصر، ط٣، القاهرة: ١٩٦٦م. • تعريف القدماء بأبي العلاء، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٩٤٤م. •
٣. الجاحظ، كتاب الحيوان، وتحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون، دار الكتاب العربي ط٣، بيروت: ١٩٦٩م. •
٤. ابن جنبي، أبو الفتح عثمان بن جنبي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت. •
٥. زغلول، محمد سلام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
٦. ابن سلام، محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، السفر الأول، القاهرة: ١٩٧٤م. •
٧. الطرابلسي، د. أمجد، النقد واللغة في رسالة الغفران، مطبعة الجامعة السورية، دمشق: ١٩٥١م. •
٨. أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ط٥، القاهرة: ١٩٦٩م. •
٩. أبو العلاء، الفصول والغايات، تحقيق محمد حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٧م. •
١٠. مارجليوت، رسائل أبي العلاء، حققها وترجمها إلى الإنكليزية، المطبعة المدرسية في أكسفورد: ١٨٩٨م. •
١١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت: ١٩٦٨م. •
١٢. وليد محمود خالص، أبو العلاء، ناقداً، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بغداد: ١٩٨٢م. •